دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	دراسات الأجيال السياسية في العلوم الإجتماعية
المصدر:	عالم الفكر
الناشر:	المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
المؤلف الرئيسي:	عبدالحي، أحمد تهامي
المجلد/العدد:	مج 36, ع 4
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2008
الشهر:	يونيو
الصفحات:	87 - 108
رقم MD:	138477
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink, HumanIndex
مواضيع:	التحليل السياسي، العلوم الإجتماعية، الوعي السياسي، المشاركة السياسية، الحركات السياسية، العلوم السياسية، الحركات الإجتماعية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/138477

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

عالم الفكر
العدد 4 المجلد 36 أبريل - يونيو 2008

دراسات الأجيال السياسية في العلوم الاجتماعية

أ. أحمد تهامي عبدالحي (*)

مقدمة

اهتم كثير من علماء السياسة والاجتماع السياسي بدراسة الوعي السياسي لدى الجماعات المختلفة، خصوصا الوعي الطبقي والوعي القومي، لكنهم لم يعيروا كثير انتباه للوعي الجيلي، وحتى وقت قريب لم يستخدم علماء السياسة مفهوم الجيل السياسي إلا كأداة لدراسة النظم التوتاليتارية.

ثم أخذ الاهتمام بالتحليل الجيلي يحظى باهتمام علماء السياسة في الغرب في العقود الثلاثة الماضية، وقد استخدم العديد من علماء السياسة والاجتماع اقتراب الجيل لدراسة قضايا المشاركة السياسية، والتغير والاستمرارية في الحركات السياسية والاجتماعية، إذ همشوا الأبعاد الأيديولوجية والفلسفية التي تلقي بظلالها الكثيفة على دراسة الأجيال، وأولوا جل اهتمامهم للجوانب الإجرائية للمفهوم ومؤشراته الأساسية من قبيل الآثار الجيلية، والعمليات الجيلية وتأثيرهما في الحركات السياسية والاجتماعية.

وقد ارتبط استخدام التحليل الجيلي في العلوم الاجتماعية والسياسية بعدد من الاستخدامات المختلفة، من أبرزها تفسير المشاركة السياسية وفقا لمتغير العمر - الجيل، واستخدام مفهوم الآثار الجيلية لفهم وتفسير الحركات الطلابية، وتوظيف العمليات الجيلية في فهم تفسير الاستمرارية والتغير في الحركات السياسية والاجتماعية.

(*) باحث بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية - القاهرة - مصر.

أولا: مفهوم الجيل السياسي وخصائصه

تحدد المعاجم العربية العديد من المعاني لمفهوم الجيل، فهو يعني:

- القرن من الزمان أو ثلث القرن.
- الأمة تختص بلغة معينة.
- الصنف من الناس.
- الجيل يطلق توسعا على عمر الإنسان[1].

وتاريخيا فقد اعتمد الجيل أداة لقياس الزمن التاريخي وتفسير حركته، وهي فكرة موجودة عند المصريين القدامى وعند المجتمعات ذات التقاليد الشفوية حيث تستعمل الأجيال المتعاقبة كعلامات استدلال للزمن. ويمتد استعمال مفهوم الجيل في قياس الزمن التاريخي لنجده عند ابن خلدون، الذي اعتمد نظرية نشأة وانحلال الدولة، فالدولة عند ابن خلدون لها أعمار طبيعية كالأشخاص. وإذا كان الحد الأقصى الطبيعي للأشخاص مائة وعشرين عاما، فإن عمر الدولة لا يزيد في الغالب على ثلاثة أجيال [2].

وفي الخبرة الغربية يلاحظ أن الفكرة القائلة بأن الانتماء إلى جيل معين يفسر السلوكيات الإنسانية ويحدد مسار التغير الاجتماعي إلى الحضارة الإغريقية، فكلمة generation ذات أصل إغريقي (Genos)، وتعني الولادة أو الوجود، وقد أعطى هيرودوت أهمية كبيرة للوعي الجيلي في تفسير الحروب الفارسية. واعتبر آباء علم السياسة القدماء، خصوصا أرسطو وأفلاطون، أن صراع الأجيال هو محرك التاريخ الإنساني، فكلاهما أكد صراع الأجيال كعامل مستقل أساسي في التغيير السياسي، وكعامل الهدم أو البناء للنظم السياسية الجديدة. ويرى لويس فيور أن فكرة صراع الأجيال كانت دوما واضحة ومعروفة لدى المفكرين والفلاسفة القدماء، وكان واضحا لديهم أن كل نظام حكم يحمل في طياته صورا مختلفة من التناقض بين الأجيال، تمثل تهديدا مستمرا للاستقرار السياسي. وقد تحدث أرسطو بإسهاب عن المصدر السيكولوجي لصراع الأجيال، فهو يرى أن صراع الأجيال ينبع بصورة أساسية من الخصائص أو الصفات المميزة لكل جيل، فالشباب يتسمون بكونهم أكثر حبا للشرف والكرامة، وتطلعا نحو المجد والعزة أكثر من حبهم للمال، فهم أكثر مثالية وطهارة ونقاء، على عكس الجيل الأكبر، الذي قد يكون أكثر مادية، وحكمة ومعرفة وشكوكا وترددا، فالجيل الأكبر غالبا ما لا يتحرك بحب المثل وإنما بحب المال. ولذلك يرفض أرسطو تفسير تحركات الشباب بالمحددات الاقتصادية التي لا تنطبق على الشباب، ويركز على الصراع الجيلي داخل نخبة السلطة [3].

ويعد كارل مانهايم صاحب التعريف الأبرز لمفهوم الجيل في العصر الحديث، فهو يعرف الجيل بأنه «الزمر من العمر نفسه التي تشغل وضعية متجانسة في العملية التاريخية والاجتماعية»، ولكنه يضيف أن «المعاصرة ليست وحدها وفي حد ذاتها هي التي تنتج وضعية

متجانسة للجيل»[٤]. فالزمر من العمر نفسه لا تشكل جيلا متميزا إلا إذا كانت هناك أحداث اجتماعية وتاريخية هي التي تجعلها كذلك، والمقومات المميزة للجيل تنبثق من السياقات الاجتماعية والتاريخية، وفي ظل خبرات مختلفة وردود فعل عليها، وهذا أكثر أهمية من الاعتبارات البيولوجية[٥].

الجيل إذن - كظاهرة تاريخية واجتماعية - يجمع بين المنتمين إلى وضعية تاريخية واجتماعية معينة. وفي الحقيقة فإن التعايش والمعاصرة لأفراد من العمر نفسه ليسا كافيين في حد ذاتهما كي يفرزا هذه الوضعية الجيلية الواحدة. فلكي تعتبر مجموعة من الأفراد في الجيل نفسه فإنهم يجب أن يشتركوا في عنصرين أساسيين هما: أن يولدوا جميعا في السياق التاريخي والثقافي نفسه، وأن يشعروا بالاشتراك في المصير الاجتماعي والتاريخي نفسه[٦].

ويرى لويس فوير أن وعي الجيل يتشكل دوما بالوقوع تحت تجربة الحدث المؤسس أو الموحد للجيل، الذي يطبع وعي الحركة الطلابية على وجه الخصوص بالتجربة التاريخية نفسها[٧].

فالجيل إذن هو حدث موضوعي وموقع في المجتمع، مؤسس على النسق البيولوجي للوجود الإنساني، لكن العوامل البيولوجية عند مانهايم (على عكس الوضعيين) ليست محددة في تفسير الظاهرة الاجتماعية والتاريخية، فهي في أحسن الأحوال أداة لرسم حدود الجيل[٨].

وبهذا المعنى فإن الجيل الواحد يضم مجموعات مختلفة من الشباب، فقد توجد مجموعتان أو أكثر من الشباب، وقد تكون إحداها محافظة والأخرى ليبرالية على سبيل المثال. ولكن كلا منها تنتمي إلى الجيل نفسه، وتشكل استجابة فكرية واجتماعية مختلفة للمصير التاريخي نفسه، الذي يتأثر به جميع الشباب، وتمثل أي من هذه المجموعات «وحدة جيل» معينة داخل الجيل نفسه. وتظهر وحدة جيل معينة عندما يتبنى أفرادها عددا من القيم والاتجاهات والمشاعر المتشابهة، وهي تشكل وتصوغ وعي وإدراك أفراد هذا الجيل. وتتجلى مظاهر تكامل وعي الجيل في العديد من الجوانب الثقافية والفنية والأدبية، خصوصا التعبيرات اللغوية والزي أو الموضة. وهو ما يؤدي إلى ربط أعضاء الجيل بعضهم مع بعض، ويوفر أساسا محتملا لاستمرار الممارسة والحركة[٩].

خصائص اقتراب الجيل السياسي

يعرف مارفين رينتالا الجيل السياسي بأنه «مجموعة من الأفراد الذين خضعوا لخبرات تاريخية معينة في أثناء سنوات التشكل والتكوين». ويجد هؤلاء الأفراد أن الاتصال السياسي مع الأجيال السابقة أو اللاحقة صعب، إن لم يكن مستحيلا[١٠]. ولا تؤثر كل الأحداث التاريخية بالدرجة نفسها في عدد الأفراد أنفسهم في سنوات تشكلهم، وهو ما ينتج عنه اختلاف كبير في حجم الجيل السياسي. وإذا كانت معدلات المشاركة السياسية الكلية مستقرة، فإن الحدود الزمانية والمكانية لحدث تاريخي معين هي التي تحدد حجم الجيل

السياسي الناتج. وهناك حدث تاريخي ينتج عنه حجم أكبر من ذلك الناتج عن حدث آخر، ويتوقف تأثير ذلك الحدث على أفراد الجيل الذين يتعرضون لآثاره المكانية والزمانية في أثناء سنوات تشكلهم(١١).

ولا شك في أن وجود عامل خارجي يكون بمنزلة الحدث المؤسس هو الذي يعطي للجيل هويته، والحدث المؤسس يعني الإشكالية التاريخية السائدة التي تولد جيلا معينا وتعطيه ذاتيته، وتحدد معاصرته، وتشكل ذاكرته الجماعية، ولكن وجود الحدث المؤسس لا يكفي في حد ذاته وإنما يجب أن يتوافر عامل التعرض، الذي يمكّن من توضيح الحدود الزمنية للجيل، وذلك بتحديد حد أدنى وحد أقصى، يستثنى منه الأفراد الذين يقلون عنه أو يزيدون عليه. فمفهوم التعرض يفترض المشاركة الممكنة في الحدث المؤسس(١٢).

ويتكون الجيل السياسي من عدد من وحدات الجيل generation units، ووحدة الجيل يعرفها مانهايم بقوله إن «الشباب الذين يتعرضون لخبرة تاريخية مشتركة يمثلون جزءا من جيل واحد، في حين أن المجموعات - داخل الجيل نفسه - التي تتمازج تجاربها وخبراتها المشتركة بطرق مختلفة أخرى تمثل وحدات جيلية منفصلة». وتؤكد الأطروحة الجيلية أن الأحداث التي يعاصرها الشباب في سنوات تشكلهم الأولى سيكون لها آثار مستمرة تظهر في العملية السياسية، ولذلك يصبح الإحلال الجيلي واحدا من أبرز آليات التغيير الاجتماعي والسياسي(١٣).

وتتعدد الوحدات الجيلية في الحياة السياسية، فتأثير حدث تاريخي مؤسس - كالحرب مثلا - تنتج عنه استجابات مختلفة تشكل وحدات جيلية مختلفة بتعبير مانهايم، وجميعها تشكل معا جيلا واحدا. وبمعنى آخر يمكن القول إنه ينتج عن الحدث المؤسس - وليكن الحرب مثلا - وجود وحدات جيلية مختلفة، فالبعض ينسحب من السياسة، فلا يتعافى من آثار الحرب، وذلك باعتبار أنها هي التي أدت إلى معاناتهم. والبعض الآخر يدخل السياسة لمنع تكرار حروب معينة، والبعض الثالث يستمر في العيش في أجواء الحرب، ويشارك في السياسة باعتبارها استمرارا للحرب بطرق أخرى. إن السياسة تعرف العدوات والصداقات بين الأفراد والجماعات، والتوجهات السياسية التي تكونت في أثناء سنوات التشكل والتكوين تؤثر في السلوك السياسي اللاحق. والجيل الواحد يتحدث بأصوات متعددة، وهناك صراعات وخلافات داخل الجيل الواحد، بالإضافة إلى الصراعات بين الأجيال(١٤).

وإلى جانب تعدد الوحدات الجيلية، يرى رينتالا أن الأجيال السياسية تتعدد أيضا في لحظة معينة في مجتمع معين، فدائما ما يُوجد أكثر من جيلين في السياسة في أي لحظة زمنية. ويعد من قبيل التبسيط المخل القول إن جيلي الشباب والكبار - الشيوخ هما فقط المشاركون في العملية السياسية، إنه مثل الادعاء بأن هناك طبقتين فقط في المجتمع الصناعي الحديث.

وقد ارتبطت هذه الفكرة عن وجود جيلين فقط في السياسة بافتراض خاطئ مؤداه أن جيل الشباب يميل إلى التحرر والليبرالية، بينما يميل جيل الكبار دائما إلى المحافظة[١٥].

وتوجد ثلاث زوايا مختلفة للنظر في نظرية الجيل السياسي وفقا لبيث تايلور، هي:

أصل الجيل generational descent، وسياسات الزمر cohort politics، والجيل السياسي political generations. وتركز الأدبيات في مجال أصل الجيل على الطرق التي بمقتضاها يكتسب الأفراد الاتجاهات السياسية من آبائهم، بينما تقوم افتراضات اقترابي الزمر والجيل السياسي على أساس طبيعة الظروف التاريخية، والاجتماعية التي تؤثر في تشكيل وصياغة التوجهات السياسية والاجتماعية. ويجري التمييز بين كل من الأجيال السياسية والزمر السياسية، فبينما تشير الزمرة إلى الأفراد الذين يولدون في الوقت نفسه ويكبرون معا، فإن مفهوم الجيل - إلى جانب هذا البعد - يتضمن أيضا عنصر الوعي بين أفراد الجماعة العمرية نفسها، الذي يختلف عن الجماعات الأخرى في المجتمع. ووفقا لبرونجارت فإن «زمرة معينة يمكن أن تتحول فتصبح جيلا سياسيا عندما يتكون وعي بين كثير من أفرادها بأنهم يرتبطون معا من خلال إدراك ووعي مشترك بين المجموعة العمرية نفسها، ويتحركون كقوة نشطة من أجل التغيير السياسي»[١٦].

المقولات الأساسية لاقتراب الجيل السياسي

يمكن أن نحدد أبرز المقولات الأساسية للاقتراب في العناصر التالية:

١- عندما تدخل مجموعة عمرية الحياة الاجتماعية فإن خبراتها التكوينية تفرز منظورا متميزا يتسم بالثبات عبر الزمن. فكل مجموعة عمرية تمثل جيلا سياسيا واحدا تنقسم إلى وحدات جيلية generation units، وكل وحدة جيلية تعاصر الأحداث نفسها وتفسرها بطرق متشابهة، مما يشكل وحدة أيديولوجية وحركة ثقافية. وهكذا فإن أعضاء الأجيال السياسية المختلفة يملكون منظورات ورؤى مختلفة، والمنظورات الجيلية والوحدات المختلفة داخل جيل معين تبقى ثابتة على مدار الزمن[١٧].

٢- هناك هوية جماعية مشتركة للجيل collective identity، وهي تشير إلى الرؤى والمنظور والمرجعية المشتركة، فعندما ينغمس الأفراد في حركة اجتماعية فإنهم يستنبطون داخلهم تعريفات ذاتية جديدة، كجزء من عملية جماعية لتفسير العالم سياسيا. وتتكون الهوية الجماعية من عمليات ثلاث هي: رسم حدود الجماعة، وبناء الوعي المضاد أو الإطار التفسيري لفهم العالم بطريقة سياسية بسيطة، وتسييس كل مظاهر الحياة. ولأن الهوية الجماعية هي محاولة لإضفاء معنى على الأحداث والخبرات والبيئة فإن الأجيال المختلفة تكون هويات مختلفة عندما تتغير البيئة الخارجية وسياق الحركة[١٨]. والذي يبقي الوعي الجيلي متقدما دائما هو التضحية الجيلية، أو شهداء الجيل الذين يصبحون الرموز العليا للهوية المشتركة[١٩].

٣- يتكون الجيل السياسي من الأفراد من أعمار مختلفة، يلتحقون بالحركات الاجتماعية في أثناء موجة معينة من المعارضة والاحتجاج. وليست فترة المراهقة هي فقط فترة التكوين والتشكيل بالنسبة إلى الأفراد، ولكن يضاف إليها الانغماس في المعارضة والاحتجاج كأساس للتكوين والتشكل[٢٠].

وهناك جدل مستمر حول تحديد المرحلة التي تتكون فيها التوجهات السياسية للفرد، وفي إطار اقتراب الجيل السياسي يوجد شبه اتفاق على أن تشكل الجيل والهوية عادة ما يكون في سنوات التكوين الأولى، أي الطفولة والشباب، وإن كان هناك ميل للتركيز على مرحلة الشباب[٢١].

إن الإنسان يبقى ويظل ما صنعه شبابه أو هو نتاج شبابه، ولا تنشأ أهمية التساؤل الحقيقي حول مواجهة الأحداث عند الفرد إلا عند بدء التجربة الحقيقية له مع الحياة، أي حوالي سن السابعة عشرة، أو قبلها، أو بعدها بقليل أحيانا، وذلك حينما يكون لمشكلات الحياة الفعلية مكان في حياة الفرد، وهكذا تكتسب الخبرة عند هذا المستوى من المعرفة والمواقف[٢٢].

ويرتبط ذلك ارتباطا وثيقا بعملية التنشئة السياسية والاجتماعية التي تعد عملية مركزية في أثناء مرحلة الشباب، وهناك مرحلة حاسمة - بين مرحلتي نهاية المدرسة واستقرار الوضع الاجتماعي في مرحلة الرشد - وهي فترة التنشئة الأولية، حيث يتعلم الأدوار والاتجاهات ومواجهة الحياة. وتعتبر فترة العشرينيات مهمة للغاية من منظور الجيل الاجتماعي، فهي الفترة التي يواجه فيها جيل معين التجارب الجماعية والسياق التاريخي، وتتكون فيها أحلام أو آلام معينة يستمر أثرها بعد ذلك. وفي الحقيقة فإن التنشئة الأولى ليست كافية لبناء جيل معين، أما مرحلة التنشئة الثانية، وهي عملية مستمرة لتطبيع الفرد في أثناء البلوغ، فهي تعيد إنتاج الخبرات الأولى والعناصر المؤسسة للهوية الجماعية للجيل[٢٣].

وفي إطار التحليل الجيلي يركز كونستانس فلانجان على السنوات بين ١٤ و٢٥ باعتبارها فترة المرونة والانفتاح، كما أنها أيضا تمثل الفترة التي تركز فيها المجتمعات على الإعداد السياسي للجيل القادم. وعلى النمط نفسه، يرى علماء النفس أن تكامل الهوية يحدث أساسا في مرحلتي المراهقة والشباب، فشخصيات البالغين تتشكل جزئيا بالطريقة التي يجرى من خلالها تناول القضايا الاجتماعية البارزة في أثناء فترة النمو، وتبين دراسات خصائص الشخصية أن الاستقرار لا يتحقق إلا بعد عمر ٣٠ عاما. وهكذا فإن تعاطي الشباب مع القضايا السياسية يصبح متغيرا مهما لفهم طبيعة الشخصية التي ستأتي مستقبلا. وتوصلت دراسات اعتمدت أسلوب المقابلة مع النشطاء السياسيين في عقد الستينيات، إلى أن سنوات الرشد والبلوغ هي فترة حاسمة في ما يخص عملية التكوين السياسي، وأنه في حين أن فترة المراهقة هي الفترة التي يخضع فيها المرء أسرته للفحص، ويخضع سلطة الآباء للتساؤل والاستجواب، فإن مرحلة البلوغ والرشد هي في أغلب الأحيان الفترة التي يحل فيها المجتمع

محل العائلة كمصدر للفحص والتساؤل. وفي الحقيقة فإن هذا التواصل النشط مع المجتمع، بتعبير مانهايم، الذي يمثل الانتقال إلى سن الرشد، يمكن أن يكون مفيدا للنظم السياسية، فالشباب الذين يضعون علاقتهم بالمجتمع موضع الفحص والتساؤل الجدي - والذين لديهم شعور طاغٍ بالاستقلال الذاتي - لا يمكن أن يكونوا مجرد مواطنين بسطاء، موافقين متجانسين، أو موالين بطريقة عمياء للوضع الراهن. وقد ثمنت الدراسات الجيلية دور الشباب في التفاوض مع الواقع السياسي والنظام الاجتماعي، وفي خلق التغيير في العملية السياسية. وهكذا، فالدراسات التي تابعت بعض نشطاء حركات الستينيات تشير إلى أن قيم والتزامات هؤلاء الشباب التي تبنوها خلال تلك الفترة استمرت ثابتة في سنوات الرشد الأوسط في كل من نشاطهم السياسي وممارساتهم العائلية[٢٤].

ثانيا: التحليل الجيلي واستخدامه في العلوم السياسية

ارتبط استخدام التحليل الجيلي في العلوم الاجتماعية والسياسية بعدد من الاستخدامات المختلفة، من أبرزها تفسير المشاركة وفقا لمتغير العمر / الجيل، واستخدام مفهوم الآثار الجيلية لفهم وتفسير الحركات الطلابية، وتوظيف العمليات الجيلية في فهم تفسير الاستمرارية والتغير في الحركات السياسية والاجتماعية. كما طُور بعض التكنيكات المنهجية للكشف عن الآثار الجيلية، وذلك في العديد من مجالات العلومَ الاجتماعية مثل: التصويت والقيم والأدب والانتحار[٢٥]. وتشير الدراسات والمسوح المختلفة إلى وجود اختلافات في السلوك السياسي بين المجموعات العمرية المختلفة داخل جماعات طبقية أو تعليمية أو دينية أو عرقية معينة. وفي الحقيقة فإن الفروق بين المجموعات العمرية تتأثر بكل من خبرات الحياة والاتجاهات السياسية المختلفة، ويكون ذلك بطريقين على الأقل هما:

- الاختلافات الجيلية الناجمة عن خبرات مهمة في أثناء مرحلة التشكل والتكوين وتأثيرها في تشكيل الرؤية السياسية لمجموعة عمرية كاملة طوال حياتها.
- الاختلافات في أنماط الخبرة الاجتماعية المرتبطة بمراحل العمر مثل المراهقة والرشد والشيخوخة[٢٦].

وتندرج الأبحاث التي تركز على عامل السن في إطار ثلاثة اقترابات متميزة هي: آثار دورة الحياة life cycle effects والآثار الجيلية generational impacts، اقتراب العمليات الجيلية في الحركات الاجتماعية. وحتى وقت قريب كان أنصار كل اقتراب يعتبرونه الأفضل بين الآخرين، وعلى الرغم من بعض المحاولات لحل المشكلة من خلال تصميم متكامل للدراسة (التكامل بين الاقترابات) فإن التمييز بينها قد استمر، خصوصا بين علماء الاجتماع وعلماء النفس، ممن يعطون أهمية كبيرة لدراسة التوجهات السياسية والاجتماعية[٢٧].

وفي ما يلي نتعرض لها بقدر من التفصيل:

١ - اقتراب آثار دورة الحياة

تبنى العديد من الدراسات والبحوث - خصوصا في مجال علم النفس - اقتراب دورة الحياة، فعالم النفس إدوارد سبرانجر Edward Spranger اهتم بدراسة العلاقة بين العمر والسلوك السياسي، وتوصل إلى نتيجة مهمة هي أن المواقف والاتجاهات السياسية للشباب تتغير مع تطور الظروف التاريخية[٢٨]. وتفسر أدبيات السياسة المقارنة المشاركة السياسية من خلال الخلفية الاجتماعية للأفراد، مثل التعليم ومستويات الدخل والسن. وقد أُجري كثير من الدراسات لقياس العلاقة بين العمر والمشاركة السياسية خلال العقود الماضية، وأصبح العمر متغيرا من بين عديد من المتغيرات التي تحدد المشاركة السياسية خلال العقود الماضية، وأصبح العمر متغيرا من بين عديد من المتغيرات التي تحدد المشاركة السياسية.

وفي إطار اقتراب آثار دورة الحياة ركزت البحوث على العلاقة بين التغيرات العمرية والمشاركة السياسية، وذهبت أغلب الدراسات إلى أن المشاركة ترتفع مع التقدم في السن ثم تعود لتنخفض مع الشيخوخة، وهو ما أطلق عليه «نموذج دورة الحياة» Life Cycle Model، وهناك من يرفض ذلك خصوصا في الشيخوخة[٢٩].

وقد فحص نيومان (١٩٨٦) العلاقة بمنظور العمر وزيادة المشاركة السياسية، وأكد أن مستوى التنشئة السياسية التي يمر بها المرء ينتج من آثار الخبرات التي يمر بها الفرد في أثناء ثلاث مراحل أساسية في حياته، هي الطفولة والمراهقة والرشد. وبينما يكون للأسرة الأسبقية في ما يتعلق بالتنشئة المبكرة، تتزايد أهمية المدرسة والرفاق في مرحلة المراهقة، وفي أثناء مرحلة البلوغ أو الرشد يُطوَّر الاهتمام بالمشاركة من خلال الجماعات. وكلما زاد العمر زاد التعليم السياسي، ولكن في ظل بعض الاختلاف في طبيعة الأنشطة التي قد تكون من خلال المشاركة المجتمعية أو المؤسسات الدينية[٣٠].

وافترض ألوين وكروسنيك أن التوجهات السياسية والاجتماعية بين الشباب البالغين (الراشدين) هي افتراضات تتمتع بقدر كبير من الثبات والاستقرار طوال حياة الفرد[٣١].

وقد شرحت العديد من البحوث وفسرت العلاقة بين العمر والمشاركة السياسية في الولايات المتحدة. واستنتج البعض أنها علاقة تأخذ شكلا منحنيا، فالمشاركة تتزايد بين ذوي الأعمار المتوسطة ثم تميل إلى التراجع مع التقدم في العمر. ويشير أحد التفسيرات (نظرية التحرر من الالتزامات Disengagement theory) إلى أنه مع تزايد العمر يفقد المرء اهتمامه وانشغاله بالعالم الخارجي بما فيه المجال السياسي. وفي المقابل فإن نظرية الانسحاب الاختياري the theory of selective withdrawal، تشير إلى أن المرء يستبدل نشاطا على حساب نشاط آخر. بينما ترى نظرية الزمن أن النخب الأكبر سنا أقل استعدادا للمشاركة السياسية

كخيار حقيقي في ظل ضعف القدرات[٣٢]. ويعتبر تدهور القدرة على التعلم بين مجموعة الكبار مثالا جيدا على ذلك.

ويرى سترات أن انخفاض مستوى المشاركة السياسية بين الشباب يعود إلى نقص الخبرة السياسية، فهم يعطون الأولوية للاهتمامات غير السياسية، مثل استكمال التعليم والحصول على الوظيفة، ولذلك فإنهم لا يقومون بتطوير معرفتهم بالعملية السياسية بالدرجة نفسها عند الكبار[٣٣].

أما في ما يخص الأشخاص من ذوي الأعمار المتوسطة فإن الآثار الناجمة عن زيادة الدخل والانضمام إلى المنظمات المختلفة يمكن أن تؤدي إلى درجة أكبر من الانغماس في الأنشطة المدنية، وهي بالتالي خطوة وسيطة نحو المشاركة السياسية. وقد لوحظ انخفاض مشاركة الشباب - تحت ثلاثين عاما - في الانتخابات الرئاسية في أمريكا، بينما ارتفعت النسبة بين متوسطي العمر بين ٣٠ و٦٤، وأخذت شكلا متوسطا بين كبار السن فوق ٦٥[٣٤].

وعندما قارن فيربا وناي بين مجموعات عمرية مختلفة توصلا إلى أن الشباب أقل استقرارا، أما التصويت فيرتبط بطول مدة الإقامة والاستقرار[٣٥].

ومن القضايا التي تثيرها الدراسات إشكالية العلاقة بين المحافظة والعمر، وهي فكرة شائعة، حيث يربط البعض بين اتجاه المحافظة والتقدم في العمر، ويبدو أن هذه الفكرة ترجع إلى حقيقة أن المادة الإمبيريقية قد جُمِعَت في أثناء فترات عدم الاستقرار في الثلاثينيات والأربعينيات، عندما تحول الشباب لليسار. فإذا كان المجتمع يمر بفترة من عدم استقرار طويل نحو الاستقرار، فربما يتبنى الآباء الأفكار اليسارية لأبنائهم، بينما تتبنى أجيال الشباب الاتجاه المحافظ [٣٦]. كما يلاحظ أن التوجه اليساري أو التحرري يرتبط بقلة المخاطرة.

وفي ظل تسارع التغير الاجتماعي والتكنولوجي تظهر مؤشرات على تزايد الهوة بين الأجيال، واتساع الفجوة التي تفصل خبرة الأبناء عن خبرة الآباء. وتشير دراسات حديثة إلى تحولات ثقافية وسياسية كبرى يمر بها الشباب في الدول المتقدمة، فقد لوحظ انتشار اللامبالاة وضعف المشاركة السياسية بين الشباب من خلال الأحزاب في بريطانيا، ويتخذ مواقف سلبية من العملية الانتخابية والسياسية. وتمتد التحولات إلى الاتحاد الأوروبي بكامله، ومضمون هذه التحولات هو أن هناك نوعا جديدا من الجيل السياسي آخذا في الظهور، فالشباب يرفضون السياسة التقليدية لكنهم ينجذبون نحو القضايا الأخرى، مثل حقوق الإنسان والبيئة[٣٧]. كما لوحظ أن الميول القومية أقل شيوعا في أوساط الأجيال الصاعدة أكثر منها في وسط أجيال الكبار، وأن الشباب لا يساير الكبار في القيم التقليدية، خصوصا في مجالي القومية والدين[٣٨].

وتشكل العلاقة بين الأجيال تحديا كبيرا للمجتمعات الغربية في مطلع القرن الحادي والعشرين، حيث يرى أنطوني جيدنز أن التوسع في عملية التحديث يخلق سلسلة من التوترات

المتداخلة بعضها مع بعض، وتنصب هذه التوترات على امتداد خطوط الربط بين مجالات مؤسسية أربعة تواجه حالة من التحلل الأخلاقي، وتشكل معا شيئا أشبه بالماسة البنيوية: وهي الأجيال والعمل والجنوسة والأسرة[٣٩]. ويرى جيدنز أن هذه التوترات تملك القدرة على تمزيق النظام الاجتماعي، وتمثل تهديدا وخطرا، شأنها شأن النزاعات الطبقية، وإن حدثت في صورة مغايرة. وهكذا فإن تقسيم الجماعات إلى جماعات شباب وأخرى للشيوخ أصبح يشكل تهديدا للنسيج الاجتماعي[٤٠].

وبينما تعتبر مشكلة امتداد أعمار السكان والشيخوخة إحدى أبرز مشكلات دولة الرفاه، فإن مجتمعات الجنوب تواجه المشكلة المضادة، إذ إن غالبية سكانها من أفراد دون الخامسة والعشرين من العمر، أي من الشباب. ومن المتوقع بعد ثلاثة عقود من الآن، إذا ما ظلت الاتجاهات القائمة على ما هي عليه، أن يزيد عدد من تجاوزوا الخامسة والستين في الولايات المتحدة على عدد من هم دون الواحدة والعشرين بمعامل أكثر من اثنين إلى واحد. لقد أدت التغيرات السكانية المقترنة بزيادة طول الأعمار وانخفاض معدلات المواليد إلى تحول الميزان بين الشباب والشيوخ في المجتمعات المتقدمة للمرة الأولى منذ عهد بسمارك. إذ بعد أن كان لا يوجد سوى مجموعة صغيرة من الشيوخ يتلقون مستحقات تخصهم من حصاد فئة كبيرة من الشباب داخل ساحة العمل المأجور، نجد الآن أعدادا كبيرة من المتقاعدين الذين امتدت أعمارهم وتساندهم مجموعة آخذة في التناقص من شباب العاملين. ويلاحظ في البلاد الصناعية اليوم أن الشاب في المتوسط أفقر اقتصاديا، وكذا توقعاتهم في الحياة أكثر تشاؤما، بالقياس إلى المجموعات الأكبر سنا. وتسود نظرة بأنه كلما كبر المرء في السن أصبح هناك المزيد من فرص الحياة وليس أسباب الحرمان. وإذا اكتفينا بقياس الوضع في ضوء العناصر المادية، لوجدنا أن كبار السن يتحولون إلى عناصر أقل فقرا، بالقياس إلى المجموعات العمرية الأخرى[٤١]. وقد أخذت سلطة ونفوذ كبار السن - بعد تخلصهم من معزل جيتو التبعية - تتجاوز نفوذ جماعات الضغط الأخرى. وبات مرجحا أن تهيمن طلباتهم على بعض جوانب جدول الأعمال السياسي داخل وخارج العملية الانتخابية الرسمية. والملاحظ أن نسبة كبار السن المتجهين إلى التصويت في الانتخابات القومية والمحلية آخذة في التزايد. ويتجلى هذا واضحا، تحديدا، بالمقارنة بمن هم أصغر سنا. لقد «بدأ العملاق يستيقظ، وثمة معركة تختمر، وقد تهدد بتقسيم الأمة وتضع جيلا ضد جيل»[٤٢].

ويبدو من ذلك أن حدة الانقسامات الجيلية أصبحت مؤثرة بقوة في واقع المجتمعات الغربية، وهي ظاهرة مشابهة نسبيا لما حدث في الستينيات مع اختلاف في الحدة والنوع، مع ملاحظة أن هذه الانقسامات لم تؤد إلى تحطم الواقع القائم في الستينيات، ولذا ربما يكون من قبيل المبالغة الحديث عن تمزيق النظام الاجتماعي بسبب هذه الانقسامات، إلا إذا ارتبطت بغيرها من الانقسامات، التي أشار إليها جيدنز.

٢ - اقتراب الآثار الجيلية

يؤكد منتقدو اقتراب دورة الحياة في تفسير السلوك السياسي أن كثيرا من الباحثين قد تجاهلوا تأثير العوامل المجتمعية والأحداث التاريخية. وبدلا من اعتبار السلوك السياسي بمنزلة تطور في عملية التنشئة الاجتماعية والسياسية، فإنهم اهتموا أكثر بالآثار الجيلية، فتم اعتبار الاستجابات السياسية للأفراد رد فعل للأحداث الخارجية التي تصبح متغيرا تعبويا[٤٣].

لقد اعتبر بعض الباحثين - خصوصا من الألمان مثل مانهايم وسيجموند ناعومان - أن مفهوم الجيل يجب أن يضاف إلى التصنيفات والشرائح البنيوية، مثل الطبقة والعرق، لتفسير السلوك السياسي[٤٤]. فإذا كانت اتجاهات الأفراد تختلف نتيجة اختلاف المواقع والتدرج الاجتماعي، فإنها تختلف أيضا نتيجة الانتماء إلى جيل معين. وأكد مانهايم أن الخبرات المشتركة في مرحلة معينة - مرحلة المراهقة المتأخرة - تخلق إطارا مرجعيا عاما، يميل أفراد المجموعة العمرية نفسها إلى أن يروا خبراتهم السياسية اللاحقة من منظوره. وهذا الإطار السياسي المرجعي - الذي يبدأ الفرد من خلاله في إدراك السياسة - يبقى قويا طوال حياته. ويترتب على ذلك أنه من أجل فهم القيم الأساسية الكامنة للمجموعة العمرية المسيطرة على الحياة السياسية في أي مجتمع، تجب العودة إلى الوراء وفحص المناخ السياسي والمشكلات التي عاصروها عندما كانوا صغارا. وحتى نهاية الخمسينيات، لم تكن هناك محاولات علمية منظمة لدراسة أثر الخبرة الجيلية من خلال تكنيكات المسوح الحديثة[٤٥].

وقد أشارت البحوث التي استخدمت اقتراب الجيل في المشاركة السياسية إلى جيل الاحتجاج الأمريكي كوحدة في الدراسة. وقد قام جيننجز (١٩٨٧) بثلاث موجات من الدراسة على الشباب البالغين الذين تم جمع المادة عنهم منتصف الستينيات وبداية السبعينيات، وتوصل إلى أنه على مدار السنين فإن جيل الاحتجاج يبقى قوة سياسية متميزة نسبيا. وعلى الرغم من هذا الاستنتاج فإنه أكد أنه بينما يختلف هذا الجيل أيديولوجيا عن الآخرين لكنه مع ذلك يشكل مجموعة صغيرة قابلة للتأثر والتغير على مدى دورة حياتها[٤٦].

وتؤكد نظرية الأجيال السياسية Theory of political generations أن الآثار السياسية المستمرة في وعي وممارسة جيل معين تنبع من طبيعة الخبرات والتجارب التاريخية التي خضع لها أفرادها في أثناء سنوات التشكل والتكوين. وتؤكد النظرية أن الأحداث التي يمر بها الشباب في سنوات تشكلهم الأولى ستكون لها آثار مستمرة تظهر في العملية السياسية، ولذلك يصبح الإحلال الجيلي واحدا من أبرز آليات التغيير الاجتماعي والسياسي.

ولذلك فمن الضروري ملاحظة الآثار الجيلية وتحديدها بدقة ووضعها في سياقها التاريخي العام، بما يدعم النظرية من جهة، ويساعد في إدراك آثارها على محتوى ونمط السياسة في مجتمع من المجتمعات[٤٧].

وتظهر عناصر الاستمرارية بقوة في المواقف التي ترتبط بأول تجربة سياسية يخوضها المرء في حياته، وعلى الرغم من حدوث تآكل للآثار الجيلية بعد ذلك لكن سمات جيل الاحتجاج تبقى واضحة. وعلى الرغم من تضاؤل حجم ونوعية الأثر السياسي للجيل، لكن الأطروحة الأساسية تعتبر أن الراجع هو أن يتسم الجيل بهذه الخصائص. وإذا كان لحركة الاحتجاج الطلابي آثارها السياسية المتعددة والمتنوعة في حينه، فإن التساؤل يظل مطروحا حول آثارها المستمرة والمتواصلة على مدار الزمن. وبصفة عامة فإن هذه الآثار المستمرة تتجلى في عدة أبعاد أساسية هي:

- الإصلاحات الدستورية والمؤسسية التي أجراها النظام السياسي استجابة لتحدي حركة الاحتجاج، والصور المحفورة في الذاكرة حول أحداث هذه الفترة.

- الآثار الجيلية المستمرة في وعي وسلوك الأفراد، الذين اندرجوا في صفوف هذه الحركة. وهذه إشكالية الدراسة، فهل اندثرت آثارهم وتوجهاتهم؟ أم التحقوا بالاتجاه السياسي السائد؟

وتندرج هذه التساؤلات في صلب نظرية الجيل السياسي التي وضع أسسها مانهايم[٤٨].

- الآثار الجيلية المتصلة بالدور القيادي، ويفترض أن الطلاب المحتجين سيكونون قادة المستقبل نظرا إلى أنهم يخوضون تجربة سياسية مهمة، ستؤثر إلى حد كبير في سلوكهم المستقبل. ويتوقع أن يصبح هؤلاء الطلاب المحتجون قادة الحركة السياسية في المستقبل، ولكن هذا الكادر يحتاج إلى تدريب، ومؤسسات يعمل من خلالها، وربما تكون لتجربة الاحتجاج هذه آثار تجعل هذا الجيل أكثر شغفا وكفاءة، فيستطيع تحمل مسؤوليات القيادة السياسية، ولكن ربما لا تنتج الخبرة الاحتجاجية هذا الأثر. فإذا كانت التجربة الاحتجاجية في مرحلة الشباب تتضمن معارضة العملية السياسية، ورغبة ملحة في المشاركة السياسية والاجتماعية، فإن الأمر قد يختلف في المستقبل، بسبب القيود الطبيعية على من يبلغون سن الرشد، مثل العمل المنتظم والأسرة والإنفاق على البيت، وهو ما قد لا يجعلهم يواصلون العمل السياسي خصوصا في صيغته الاحتجاجية[٤٩]. وقد يلجأون إلى الهروب أو الانغماس في الهموم الشخصية أو مسايرة الجو العام، أو الهجرة أو الانتحار أو الانزواء.

الاختبارات: ويعنى مفهوم الآثار الجيلية generation effects أو آثار وحدة الجيل genera-tion unit effects بدراسة الاستمرارية المتوقعة بين أبناء جيل معين والأساليب المشتركة في الممارسة والعمل السياسي. وقد اختبرت العديد من الدراسات نظرية الأجيال السياسية بالتطبيق على حركة الاحتجاج ضد حرب فيتنام والحركة الطلابية في الستينيات، وذلك بالمقارنة بين المحتجين وغير المحتجين وداخل كل فئة على حدة على مدار الزمن.

وصُنِفت الآثار الجيلية من خلال فئات تتسم بالاستمرارية المطلقة أو الاستمرارية النسبية[٥٠].

وهناك ثلاثة أنواع من الاختبارات التي يمكن من خلالها معرفة الاستمرارية الجيلية أو التميز الجيلي، هي:

١- **اختبار الاستمرارية المطلقة absolute continuity test**: الذي يعبر عن ثبات استجابة للموقف نفسه على مدار الزمن، وكلما تقلبت وتغيرت أنماط الاستجابة تضاءل إمكان اعتبار أن هؤلاء الأفراد يشكلون جيلا واحدا. وبمعنى آخر فهي تعني استقرار وثبات اتجاهات وأساليب الممارسة السياسية. ويلاحظ أنه يجري التعامل مع اختبار الاستمرارية المطلقة لوحدة الجيل في عزلة بعيدا عن المقارنة بالأجيال الأخرى، فلربما تشابهت تلك الأجيال مع وحدة الجيل محل الدراسة، مما قد يزيل عناصر تميزها.

٢- **اختبار الاستمرارية النسبية relative continuity**: ويعني أن المواقف والاتجاهات السياسية للجيل مقارنة بالأجيال الأخرى، وأن مواقف وحدة الجيل نسبية مقارنة بالوحدات الأخرى داخل الجيل نفسه. فالسؤال يتعلق بإمكان تميز الجيل بخصائص معينة عن الأنماط المشابهة في الحياة السياسية.

ويفترض الاختباران السابقان ثبات الأهداف السياسية على مدار الزمن، ونظرا إلى طبيعة الأوضاع السياسية التي تتغير باستمرار، من حيث الأهداف والقضايا والأشخاص، فإن على الجيل أن يمارس العمل السياسي بطريقة متسقة ومتماسكة يمكن التنبؤ بها لكي يبقى معترفا به كجيل.

٣- **اختبار الاستمرارية المتكافئة equivalent continuity test:** ويقوم على فحص استجابة الجيل للمثيرات السياسية الجديدة(٥١).

وهناك علاقة وثيقة بين مفهوم آثار الفترة التاريخية Period Effects واقتراب الآثار الجيلية، فإذا كانت هناك بعض المجموعات العمرية التي تطور وعيا جماعيا مختلفا عن الآخرين، فإن أحداثا تاريخية معينة يجب أن تظهر من أجل تشكيل هذه الرؤية أو الوعي. ويلاحظ أن آثار المرحلة التاريخية تختلف حتى داخل الدولة الواحدة (مثل الولايات المتحدة)، فالأوضاع المحلية تؤثر في الأنشطة والتعبئة السياسية (٥٢)، وفي ما يتعلق بتحديد المرحلة المؤثرة فقد اعتبر بيك وجننجز الستينيات وبداية السبعينيات مرحلة الانحراف في أمريكا، حيث أصبحت أجيال الشباب أكثر نشاطا على الصعيد السياسي من المجموعات الأكبر سنا، وتبين دراسة عن جيل الشباب والكبار أن هناك صيغا وأشكالا أكثر نشاطا في المشاركة لا يمكن للشباب البالغين أن يقوموا بها بمفردهم، لكن فترات تاريخية معينة تشهد ظهور هذه الصيغ والأشكال(٥٣).

٣- اقتراب الاستمرارية والتغير في الحركات الاجتماعية والسياسية

الحركات السياسية والاجتماعية يمكن أن تستمر لفترات طويلة قد تصل إلى عقود أو قرون ما دامت قادرة على التعبئة والحشد بمستويات عليا أو دنيا، ولكنها في الوقت نفسه تغير

من خصائصها بمرور الزمن. وفي الحقيقة فإن تفسير التغير والاستمرارية في الحركات السياسية والاجتماعية يمكن أن يتما من خلال ثلاثة اقترابات أساسية:

أولها: اقترابات العملية السياسية التي تفسر كلا من دورات الظهور والنمو والتراجع، وتغير تكتيكات استغلال المناخ السياسي. ويتم ذلك من خلال تأكيد أهمية القوى والعوامل الخارجية مثل بنية الدولة والتحالفات والمناورات السياسية ودور النخبة والموارد المحلية والخارجية وتكتيكات الحركة السياسية.

ثانيها: الاقترابات المؤسسية التي تركز على تفسير الاستمرارية في الحركات الاجتماعية، وبناء على نظرية تعبئة الموارد والبيئة السكانية التي تؤكد خصائص البنية التنظيمية والأيديولوجية والثقافية التي تمكن الحركات الاجتماعية من تعبئة مواردها، والحفاظ على شرعيتها في بيئة معادية أو متغيرة على الأقل، واستمرارية العضوية في أثناء فترات التوقف والتجمد.

ثالثها: الاقتراب الجيلي، ويقوم على أساس نظرية الجيل السياسي والإحلال بين الزمر. ويركز الاقتراب على العمليات الجيلية وديناميات التجنيد والهوية المشتركة الى جانب التأكيد على العمليات السياسية والعوامل التنظيمية. حيث يمكن أن يحدث التغير في الحركات الاجتماعية من خلال عملية التجنيد[٥٤].

وفي الواقع فإن التغير في الفرص السياسية يوفر قوة دافعة للتغير في الحركات الاجتماعية، أما العمليات الجيلية، من تجنيد سياسي وحراك للزمر فإنها تعتبر بمنزلة الآلية التي يظهر من خلالها التغيير على مستوى التحليل الجزئي. إن الحركات الاجتماعية تتكون من زمر متعددة تشمل الأعضاء الدائمين والمجندين حديثا، وفي الواقع فإن الأعضاء الدائمين يشكلون النواة الصلبة الملتزمة على المدى الطويل [٥٥].

وتمثل هذه العضوية الدائمة والصلبة متغيرا داخليا أساسيا يضمن ويعزز الاستمرارية. وإلى جانب هذه النواة الصلبة فإن كثيرا من المجندين الجدد يدخلون بمعدلات مختلفة، وعلى الرغم من أن الأعضاء الجدد يحملون المسلمات والأهداف نفسها التي لدى أسلافهم من أعضاء النواة الصلبة لكنهم قد يختلفون عنهم. وبناء على هذا فإن التجنيد والحراك يساعدان في إحداث التغير في الحركات الاجتماعية. إن هاتين العمليتين - استمرارية ووجود الأعضاء الدائمين الملتزمين من جهة، ودخول وتجنيد أعضاء جدد - تجسران الفجوة بين القضايا النظرية والعمليات السياسية التي تشكل عملية التجنيد وتحليل التفاعل بين بيئة التعبئة الجيلية وبناء الهوية المشتركة. وتوجد العديد من الاختلافات بين الزمر، بحيث إن دخول زمر جديدة إلى الحركة يسهم في حدوث التغيير والتحول[٥٦].

وتسمى المجموعات الأكثر تقاربا داخل الجيل السياسي بالزمر الصغيرة micro-cohorts، وهي تكوينات عنقودية من الأعضاء الذين ينضمون للحركة الاجتماعية في مدى بين عام

أو عامين، ويتشكلون من خلال خبرات تكوينية متميزة تختلف بتغير السياق السياسي. وميزة هذا المفهوم أنه يجعل الفترة التي تتحدد فيها الزمر والتفاعلات داخل سياق معين أكثر قصرا وتحديدا، بما يؤدي إلى بلورة منظور مشترك للأفراد ويتضمن الجيل السياسي كل الزمر الصغيرة التي تشارك في موجة معينة من الاحتجاج، وعلى الرغم من أن الزمر الصغيرة - التي تصنع جيلا سياسيا متميزا - تختلف بعضها عن بعض، فإن رؤاها وتصوراتها تتداخل نتيجة للتشابهات الأساسية في الخبرات الحركية[٥٧].

وسوف تأخذ الدراسة باقتراب الآثار الجيلية بصفة أساسية، مع الاستفادة قدر الإمكان من مقولات اقتراب الاستمرارية والتغير في الحركات الاجتماعية والسياسية.

الافتراضات الأساسية لاقتراب الجيل السياسي والإطار التحليلي

الافتراض الأول:

تبقى الهوية الجماعية لزمرة معينة من نشطاء الحركة الاجتماعية ثابتة مع مرور الزمن، بما يحقق للحركة استمراريتها [٥٨]. فلكل جيل عناصر معينة تميز جميع أفراده أيديولوجيا، ويستمر تميزهم طيلة حياتهم عن أجيال أخرى، ممن لم يمروا بالخبرات نفسها[٥٩].

وفي الحقيقة فإن أثر الزمرة ووحدة الجيل لا يمكن أن يظهرا إلا من خلال الاحتفاظ بمرجعيتهما ومنظورهما مستمرا على مدار الزمن على الرغم من دورة الحياة وتغيرات المرحلة. وتبين الدراسات السابقة - خصوصا أعمال كنت جيننجز - أن النشطاء المتمرسين من حركة احتجاج جيل الستينيات احتفظوا بمعتقداتهم السياسية والمشاركة لعقود بعد ذلك، وذلك على الرغم من بعض التغيرات التي حدثت لهم، مثل تبني نمط أيديولوجي أكثر اعتدالا أو تبني منهج الإصلاح الاجتماعي بوسائل مختلفة[٦٠]. كما أظهرت الدراسات أن نشطاء اليسار الجديد في الدول الغربية احتفظوا بتميزهم عن زملائهم من غير النشيطين، من حيث الأيديولوجيا الراديكالية، والمشاركة الواسعة في كل من السياسة التقليدية والاحتجاج، والدخول المنخفضة، وانخفاض معدل الزواج وارتفاع معدلات الطلاق. إن التزامات وحدة الجيل السياسي تستمر على مدار الزمن. ومن ثم تتسم الزمر النشطة باستمرار الهوية الجماعية التي تتكون من خلال التفاعلات الأولية داخل الحركات الاجتماعية. ويبقى الأعضاء ملتزمين سياسيا ونشيطين لأنهم يستبطنون الهوية الجماعية التي تربط بين إحساسهم بذواتهم وبين عضويتهم النشطة لمجموعة سياسية. وفي السنوات التالية تستمر الهوية الجماعية للزمرة متميزة بسبب الظروف السائدة داخل وخارج الحركة الاجتماعية [٦١].

الافتراض الثاني:

تكوِّن الزمر المختلفة هويات جماعية مختلفة تبعا لتغير السياق الخارجي والظروف الداخلية للحركة في الوقت الذي ينضمون فيه إليها، وتوجد الاختلافات في الهويات الجماعية بين الأجيال السياسية التي انغمست في كل موجة من الاحتجاج، وبين الزمر الصغيرة داخل كل جيل سياسي. بمعنى آخر تنشأ للزمر هويات جماعية مختلفة على أساس كل من البيئة الخارجية والظروف الداخلية [٦٢]. ويلاحظ أن نظريات الأجيال السياسية تؤكد الاختلافات بين الزمر إلى جانب استمرارية الهوية الجماعية للزمرة[٦٣]. وهكذا تتعدد الأجيال، والزمر الصغيرة داخل الأجيال، ويحتفظ كل منها بهوية جماعية مختلفة عن الأخرى، ويتأسس ذلك الاختلاف على طبيعة السياق الذي انضمت فيه الزمرة الصغيرة إلى موجة معينة من الموجات التي مرت بها حركة الاحتجاج.

الافتراض الثالث:

يساهم الإحلال بين الزمر في إحداث التغيير في الحركات الاجتماعية والسياسية، ففي أثناء فترات تنامي التجنيد وتغير العضوية يتوقع حدوث تغيرات على مستوى عال في المنظمات المتنامية، وفي مجال تعدد المنظمات، وفي مجال الهوية الجماعية للحركة[٦٤].

وإذا كانت الخصائص الأساسية للزمرة تبقى ثابتة، وإذا كانت الزمرة المختلفة لديها هويات جماعية مختلفة، فيترتب على ذلك أن عملية التجنيد أو دخول أعضاء جدد تؤدي إلى حدوث التغيير في الحركات الاجتماعية. وقد حُللت عملية الإحلال بين الزمر حيث تغادر النخب الأولى أو تفقد سيطرتها على التنظيم ويحل محلها الأعضاء الجدد. ويحدث التغير في المؤسسات والمنظمات بسيطرة زمرة معينة على مقاليد الأمور. وفي الحقيقة فإن مستوى التغير ليس متماثلا بين مختلف المنظمات، حيث يلاحظ أنه في المنظمات الرسمية التي يُركَّز عليها في الدراسات مثل الشركات والأجهزة البيروقراطية للدولة، فإن نظم الأقدمية والترقيات تقلل من سرعة وصول القادمين الجدد لمراكز السلطة. وهذا التغير البطيء يسمح للخبراء بالقيام بعملية تنشئة أكثر قوة، مما يؤدي إلى استمرارية أكبر للمنظمة، لكنها تحد من التغير التنظيمي. وعلى العكس من ذلك فإن الحركات غير المركزية وغير الهيراركية لا يمكنها أن تتحكم بفعالية في نتائج عملية التجنيد. حيث يمكن للأعضاء المستمرين لفترة طويلة أن يفقدوا سلطتهم لمصلحة الأعضاء الجدد. وإلى جانب ذلك ترصد نانسي ويتير عوامل أخرى تؤدي إلى مزيد من التغير السريع في الحركة، مثل العوامل الخارجية التي تعزز نمو الحركة، والخصائص الداخلية مثل الاعتماد على العضوية المؤقتة، وقواعد تغيير الرؤساء الشائعة في المنظمات النسائية الراديكالية، وزيادة الطلب على العضوية، مما يؤدي إلى الوصول بسرعة، والخروج من الحركة (سرعة الدخول والخروج). وعلى الرغم من كون الإحلال بين الزمر مصدرا محتملا للتحول المؤسسي، فإن بنية الحركة

الاجتماعية تؤثر في معدل الإحلال بين الزمر بما يسهم في التغير أو الاستمرار. فالتغير بين الزمر - كما ترى نانسي ويتير - هو واحد من بين عدة عوامل تساهم في إحداث التغيير في الحركات الاجتماعية، من بينها التغير في البيئة الخارجية، أو أن يغير النشطاء استراتيجياتهم، من دون حدوث إحلال بين الزمر[٦٥].

الافتراض الرابع: الفجوة الجيلية:

تتعدد الزمر التي تدخل الحركة الاجتماعية خلال جيل واحد، ويكون دخول كل زمرة على شكل موجة معينة ترتبط بالسياق الخارجي والظروف الداخلية للحركة. وعلى الرغم من تعدد الزمر لكن هناك خصائص مشتركة وتداخلا بينها، مما يؤثر بعضها في البعض. وتظهر الفجوة بين جيلين سياسيين، ويرى مكنيل أن الفجوات الجيلية تظهر عندما توجد فترة معينة لا تنضم فيها للحركة زمر جديدة، مما يخلق مسافة كبيرة بين الزمر. ويرى تايلور أن الفجوة تظهر في أثناء فترات عدم الفعالية أو تعليق النشاط، وتنتج عنها اختلافات حادة في الهويات الجماعية بين عنقود معين من النخب الصغيرة التي تشكل سياسيا جيلا معينا، وبين عنقود آخر من النخب الصغيرة التي تشكل جيلا سياسيا جديدا[٦٦].

الخلاصة

أن دخول زمر جديدة إلى الحركة قد يؤدي إلى تغيير توجهاتها وهويتها الجماعية، وبناء عليه تتغير الاستراتيجيات والتكتيكات والثقافة السياسية والبنية المؤسسية. وفي الحقيقة فإن مستوى وعمق التغير في الحركة الاجتماعية يتوقف على سرعة الإحلال بين الزمر التي لا تختلف فقط من حيث أعداد الأعضاء الذين يُجنَّدوا، ولكن أيضا من حيث البنية التنظيمية والثقافة، والتنافس والجدل بين الأعضاء القدامى والمجندين حديثا. فالنشطاء القدامى ربما تكون لديهم القوة المنظمة التي تبقي سيطرتهم، على الرغم من التحديات، والأعضاء الجدد ربما تكون أعدادهم قليلة مما يضعف من تأثيرهم. كما يتوقف الأثر الذي ينتج عن إحلال الزمر على تغيير تنظيم الحركة الاجتماعية على الذاكرة التنظيمية، أو فعالية مخزن المعلومات والاسترجاع بما يسمح للنشطاء اللاحقين بالتعلم من خبرات السابقين[٦٧].

ولذلك يمكن أن نتوقع درجة أكبر من الاستمرارية - على الرغم من تغير الزمر - في المنظمات التي تصوغ برامج تدريب لأعضائها الجدد، وهناك ذاكرة تاريخية تعمل بكفاءة[٦٨].

إن الموجة الأولى للأعضاء المؤسسين للحركة قد تصوغ رؤية فكرية وحركية ومؤسسية تدور حول هويتها الجماعية وتُنقَل للأجيال اللاحقة، مما يؤدي إلى استمرارية أكبر. وفي المقابل ففي بعض الحركات الاجتماعية الأخرى فإن النشطاء القدامى قد يغادرون منظمات الحركة الاجتماعية مما يفتح المجال أمام المشاركين الجدد.

وتعتبر العمليات الجيلية شديدة التأثير في مستويات التعبئة المختلفة داخل الحركة، ففي أثناء الدرجات الدنيا من التعبئة فإن كلا من وجود التزامات قوية من الأعضاء القدامى نحو الحركة، ومعدل تجنيد منخفض، ربما يؤدي إلى استمرارية أكبر ولكنها استمرارية تتسم بجمود تنظيمي وعدم فعالية. أما في أثناء فترات الصعود والتعبئة الواسعة فإن نجاح عملية التجنيد يخلق درجة أعلى من إحلال الزمر، مما يسهم في حدوث تغيير سريع في الحركة، وعلى ذلك يمكن أن تظهر خلافات بين الزمر الصغير كل عدة سنوات. وبناء على ذلك ففي حال انتقال الحركة الاجتماعية من حالة الجمود واللافعالية إلى حالة التعبئة والتجدد، وفي ظل قيام الجيل الأكبر من الأعضاء القدامى بإعطاء المشعل للأعضاء الجدد، فإن الاختلافات والروابط والصراعات بين الأجيال تصبح أكثر أهمية[٦٩].

إن التغير في الزمر ربما يؤدي إلى تعزيز الابتكار والإبداع في الاستراتيجيات والبنى التنظيمية والهوية الجماعية. وفي المقابل ربما تكون للتغير في الزمر آثار محدودة في التغير في الحركة، لأسباب قد يكون من بينها أن الظروف الخارجية تفرض استراتيجية معينة، أو لأن الهوية الجماعية غير مهمة إلى حد ما في تحديد مسار الحركة، أو لأن الهوية الجماعية ضعيفة نسبيا، أو لوجود قدر أقل من الاختلافات بين الزمر، أو لمحدودية الإحلال بين الزمر[٧٠].

ويرتبط فهم الاستمرارية والتغير في الحركات السياسية والاجتماعية بعدد من المتغيرات الأساسية، التي تؤثر في دور الزمر في إحداث التغيير، مثل دور النشطاء القدامى، والاختلافات بين الزمر في هوياتهم الجماعية، والمدة التي تستغرقها عملية الإحلال بين الزمر، وتقاطع ذلك الإحلال مع التغيرات السياسية الخارجية والثقافية والتنظيمية.

هوامش

1 استخرج الباحث هذه المعاني من المعاجم الآتية: لسان العرب، والغني، ومحيط المحيط والمعجم الوجيز والوسيط.

2 عبدالرحمن ابن خلدون، المقدمة، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤، ص ص ٢٢٢ - ٢٣٢ .

3 Feuer, Lewis S., the Conflict of Generations: the Character and Significance of Student Movement, London, Heinemann, 1969, pp. 27-29

4 Mannheim, Karl, What is a social Generation? In ‹‹The Youth Revolution' The Conflict of Generation in Modern History›› Anthony Esler, (U.S.A.: D.C. Health and Company, 1974) pp. 7-8.

5 Cherrington, Ruth, ‹‹Generational Issues in China: a case study of 1980 generation of yong intellevtuals››, the British journal of Sociology, V 48, N2, June 1997, p. 15.

6 Mannheim, Karl, What is a social Generation? op. cit., pp. 7-8.

7 Feuer, Lewis S., op. cit, p.25.

8 المنجي الزيدي، أهمية مفهوم الجيل في دراسة قضايا الشباب العربي، مجلة إضافات، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، العدد الثالث، يناير ٢٠٠١، ص ١٢٧ .

9 Mannheim, Karl, op. cit, p.9-10.

10 Rintala, Marvin, Generations in Politics, In "The Youth Revolution, The Conflict of Generation in Modern History, Anthony Esler, (U.S.A.: D.C. Health and Company, 1974), p.17.

11 Ibid, p.18.

12 المنجي الزيدي، مرجع سابق، ص ١٣٢ .

13 Jennings, M. Kent, Residues of a Movement: the Aging of the American Protest Generation, American Political Science Review, Vol. 81, No.2, June 1987. p.368.

14 Rintala, Marvin, op. cit., p.18.

15 Ibid, pp. 16-17.

16 Taylor, Beth L., Ibid, p.16-17.

وانظر أيضا:

Braungart, Richard G., and Margaret M. Braungart (1986). ‹‹Life- Course and Generational Politics›› Annual Review of Sociology vol.12, 1986, pp.205-231.

17 Whittier, Nancy, Political Generation, Micro-Cohorts, and the Transformation of social Movement, American Sociological Review, 1997, vol.62. October p.761.

18 Ibid, p.762

وانظر أيضا:

Whittier, Nancy, Feminist Generations: The Persistence of Radical Women's Movement, (Philadelphia, PA: Temple, 1995).

19 Feuer, Lewis S., op. cit., p. 27.

20 Schneider, Beth, Political Generations in the Contemporary Women,S Movement, Sociological Inquiry, vol. 58, 1988, pp. 4-21.

21 Cherrington, Rath, op. cit., p.17.

22 الين س. كوهين وسوزان أو هوايت، آثار التنشئة القانونية على التحول نحو الديموقراطية، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، يونيو ١٩٩٧، ص٢٩.

23 Louis Chauvel, op. cit., p.2 ;see also: Becker H. A., ‹‹Discontinuous Change and Generational Contracts›› in S. Arber, C.Attias-Donfut (Eds), The Myth of Generational Conflict. The Family and State in Ageing Societies, Routledge, London/New York, 2000, pp.114-132.

24 Flanagan, Constance, ‹‹Youth Political Development: an Introduction››, Journal of Social Issues. Fall 1998, op. cit., p.2.

25 Chauvel, Louis, op. cit., p.3.

26 Lipset, S.M., Political Man, (London: The Heimann Group of Publishers, 1963), p.264

27 Taylor. Beth L., op.cit., p.12.

28 لمزيد من التفاصيل انظر:

Spranger, Edward, Psychologie des Jugendalters (Leipzig: Quelle und Meyer, 1925), p.212.

29 صلاح سالم زرنوقة، المشاركة السياسية والعملية الانتخابية، مجلة الديموقراطية، العدد الأول، القاهرة: شتاء ٢٠٠١، ص٢١، وانظر أيضا:

Jennings, M. Kent, ‹‹Another Look at the Life Cycle and political Participation››, American Journal of Political Science, vol. 73 (1979), pp. 755-770.

30 Newman, W. Russell, The paradox of Mass politics, Cambridge: Harvard University Press. 1986.

31 Alwin, Duane F., and Jon A. Krosnick. ‹‹Aging, Cohorts, and the Stability of Sociopolitical Orientations Over the Life Span››, American Journal of Sociology, vol. 97 m.I, 1991, pp.169-195.

32 Jennings, M. Kent and Gregory B. Markus. ‹‹Political Involvement in the Later Years: A Longitudinal Survey››, American Journal of Political Science, vol. 32, n.2, 1988, pp. 302-316.

33 Strate, John M. et al, ‹‹Life Span Civic Development and Voting Participation››, The American Political Science, Review 83 (2) 1989, pp. 443-464.

34 Taylor, Beth L., The Impact of Age on Political Participation in West Virginia, Thesis submitted to the College of Arts and Sciences at West Virginia University In partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts in Applied Social Research, Morgantown, West Virginia, 2000, p.14.

35 Verba, Sidney and Norman H. Nie, Participation in America: Political Democracy and Social Equality, New York: Harper and Row Publishers, 1972.

36 Lipset, S.M., Political Man, (London: The Heimann Group of Publishers, 1963), p.267.

37 Davies, Catherine Clara, the Future Generation: Young People,s Pereeptions of the National Assembly for Wales, Paper Presented for the panel on ‹‹Constitutional Change›› at the political Studies Association Conference, Leicester, 15-17, April 2003, p.3.
http://www.psa.ac.uk/2003/catherinedavies.pdf

38 ماتي دوجان، مقارنات حول ضعف القومية في غرب أوروبا: ديناميكية الأجيال، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، مايو ١٩٩٣، ص٤١.

39 ا أنطوني جيدنز، بعيدا عن اليسار واليمين، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٨٦ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٢)، ص ٢٠٨، ٢٠٩ .

40 المرجع السابق، ص٢٣٠ .

41 المرجع السابق، ص ص ٢٠٨ - ٢١١ .

42 انظر لمزيد من التفاصيل:

Dychtwald, Ken, Age Wave (Los Angeles: Tarcher, 1988), p.63.

43 Taylor, Beth L., op .cit., p.16.

44 حول هؤلاء الباحثين وإسهاماتهم:

Mannheim, K., ‹‹The Sociological problem of Generations›› in P. Kecskemeti, ed., Essays on the Sociology of Knowledg (New York; Oxford University press, 1952), pp. 276-322.

Behrendt, R., ‹‹Die offentliche Meinung und das Generations problem››, Kolner Vierteljahrshefte fur Soziologie, 11 (1932), pp. 290-309.

Neumann, Sigmund, ‹‹The Conflict of Generations in Contemporary Europe›› Vital Speeches, 5 (1939), pp. 623-628.

Neumann, Sigmund, permanent Revolution (New York: Harper & Bros., 1942).

Heberle, Rudolf, Social Movement (New York: Appleton- Century- Crofts, 1951), chap.6.

45 Lipset, S.M., Political Man, p.265.

46 M. Kent., Jennings, ‹‹Residues of a Movement: The Aging of the American Protest Generation,‹‹The American Political Science Review››, vol. 81, n.2, 1987, pp. 367-382.

47 Ibid,, pp.367, 368.

48 Ibid, p 367.

49 Matthews, Donald R., James W. Prothro, Negroes and the New Southern Politics, Harcourt, Bruce & World Inc, 1966, p.444.

50 Jennings, M. Kent, Residues of a Movement: the Aging of the American Protest Generation, op. cit., p 367.

51 Ibid, pp. 368, 369.

اعتمد التحليل على مجموعتين أساسيتين من الأبعاد، لفحص وتطبيق اختبارات الاستمرارية الثلاثة، هما: التوجهات الحزبية والحريات المدنية من ناحية وتمثل الآثار المستمرة، والاتجاهات نحو جماعات المصالح والجماعات الأقل قوة مثل السود والنساء والفقراء، وقضايا معينة مثل دور الدولة في مجالات الصحة والتعليم من ناحية أخرى، وهي توضح تضاؤل الآثار الجيلية.

52 Taylor, Beth L., op. cit., p.17,18.

53 Beck, paul Allen and M. Kent Jennings, ‹‹Political Periods and Participation››, The American Political Science Review, vol. 73, n3, 1979, pp. 737-750.

54 Whittier, Nancy, op. cit., p. 760.

55 لمزيد من التفصيل انظر:

Braungart, Richard G. and M. Braungart, ‹‹Life Course and Generational Politics››, Journal of Political and Military Sociology, vol. 12, 1984, pp. 1-8.

56 Whittier, Nancy, op. cit., p. 761.

57 Ibid, p. 762.

58 Ibid, p. 763.

59 إلين س. كوهين وسوزان أو هوايت، آثار التنشئة القانونية في التحول نحو الديموقراطية، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، يونيو ١٩٩٧، ص٢٩.

60 Jennings, M. Kent, Residues of a Movement: the Aging of the American Protest Generation, op. cit.?

61 whittier, Nancy, op. cit., p. 763.

62 Ibid, p.763 - 764.

63 انظر لمزيد من التفصيل:

DeMartini, Joseph R., Change Agents and Generational Relationships, Social Forces, vol. 64, 1985, pp. 1-16.

64 Nancy whittier, op. cit., p. 764.

65 Ibid, p. 764.

66 Ibid, p. 771.

ولمزيد من التفصيل انظر:

Taylor, Verta, Social Movement Continuity: The Women's Movement in Abeyance, American Sociological Review, vol. 54, 1989. pp. 761 - 75.

67 whittier, Nancy, op. cit., p. 775.

68 لمزيد من التفصيل انظر:

Walsh. James p., and Gerardo Rivera Ungson, Organizational Memory, Academy of Management Review, vol. 16, 1991, p. 67.

69 whittier, Nancy, op. cit., p. 775.

70 Ibid, p. 776.